



مقدمة

المرّة الفارطة تحدثنا عن فضل الطهارة و فضل المتطهرين الآن نتحدث عن أقسام المياه إن شاء الله و كما تعلمون أن أهل العلم يبدؤون ببيان أحكام الطهارة لماذا؟ لأن الطهارة هي شرط في الصلاة و عادة يتقدم الشرط عن المشروط و لما كان الطهارة عادة لا تكون إلا بالماء إنما تكون بالماء إلا إذا فقد الماء و تعذر استعماله فاحتيج إلى معرفة أقسام هذا الماء، ما هي أقسامه؟ لأن الماء يعتبر كالألة لعملية التطهر و لذلك قدم العلماء الحديث عن المياه حتى يتأهل الإنسان و يستعد لعبادة ربه سبحانه و تعالى.

نفتتح هذا الدرس بالأبيات الثلاثة التي ذكرها الإمام بن عاشر و هي في غاية الاختصار ذكر **فيها خلاصة الطهارة و المياه و أنواعها** قال رحمه الله:

و تحصل الطهارة بماء من التغير بشيء سلماً

إذا تغير بنجس طرحاً أو طاهر لعادة قد صلحاً

إلا إذا لازمه في الغالب كمغرة فمطلق كالذائب

المغرة و البعض يكتبها بفتح الميم و كلاهما سيان.

نكتب **تعليق الشيخ ميارة** باختصار في شرحه الصغير المرشد المعين: أخبر أي الناظم أن الطهارة تحصل بالماء الذي سلم من أن يتغير أحد أوصافه (لونه أو طعمه أو ريحه) بشيء من الأشياء النجسة أو الطاهرة و لذلك نكر شيئاً و شمل قوله (الطهارة) طهارة الخبث و هو إزالة النجاسة عن الثوب و البدن و المكان، فلا يزول حكم النجاسة على المشهور (في المذهب المالكي) عن شيء مما ذكره إلا بالماء المطلق، و أما عين النجاسة فتزول بالمطلق و غيره، و شمل أيضاً طهارة الحدث و هي (الوضوء و الغسل) لأن الحدث هو المنع المرتب على الأعضاء كلها و هو الحدث الأكبر الموجب للغسل أو على بعضها و هو الحدث الأصغر الموجب للوضوء فلا يرتفع الحدث في الوجهين إلا بالمطلق اتفاقاً.

أقسام المياه:

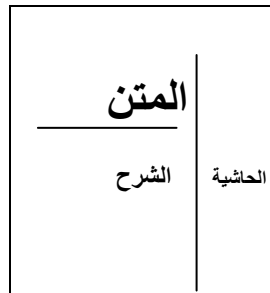
1 / الماء المطلق: أو الماء الطهور:

و كلمة طهور على وزن فعول المبالغة في الطهر و الطهارة.

تعريفه: هو الماء الذي بقي على أصل خلقته و لم تخالطه نجاسة و لم يغلب عليه شيء مما ينفك عنه غالباً، ثمة تعريف للشيخ أحد أعلام المالكية ثمة تعريف لأحد أعلام المالكية، أحمد الدردير من كبار علماء المالكية مصري توفي سنة 1201 أول القرن الثاني عشر و هو معروف له شرح على مختصر خليل مختصر الشرح

الكبير و اختصر هذا المختصر و عليه حاشية و يعتبر من المراجع المعتبرة في الفقه المالكي في حاشية الدسوقي.

الفرق بين الحاشية و الشرح



تعلمون ما هو الفرق بين الشرح و الحاشية لا باس أن نبين هذا الفرق باختصار ليتضح لبعض الإخوة، اعتاد أهل العلم أن يكتبوا متونا فيكتب الشيخ المتن بالخط الغليظ أو البَنت الغليظ و تحت المتن يأتي الشرح بخط رقيق، هذا الشرح مثلا هذا متن خليل و أحيانا الشرح يتخلل المتن نفس الشيء في القرآن أحيانا تجدون الآية و بعد ذلك التفسير هذا المتن و هذا الشرح متن الخليل لشرح الشيخ أحمد الدردير و تأتي الحاشية هنا، الحاشية على جنب فهذا المتن بشرح الدليل حاشية الدسوقي الذي هو تلميذه، و أحيانا تجدون تعليقات رقيقة فتجتمع في الصفحة الواحدة أربعة كتب: المتن الشرح الحاشية و التعليقات.

و فيه قاعدة مشهورة أذكرها:

الفقه ما قرره الزرقاني ووافقته بناني و سلم الرهوني.

الشيخ الزرقاني له شرح مشهور و هو من كبار العلماء المالكية معروف الذي عنده شرح الموطأ، الشيخ البناني له حاشية، الحاشية يستدرك فيها ما غفل عنه الشارح أو في عصره أصبح بعض الكلمات و المعاني مغلقة صعبة الفهم غامضة فيزيدها بيانا و وضوحا صاحب الحاشية فيستدرك على صاحب الشرح ثم يأتي المحشي في التعليقات فيكتبوا الفقه ما قرره الزرقاني و وافقه بناني و سلم الرهوني و الرهوني كذلك من علماء المالكيين، فإذا اتفق هؤلاء الأعلام على هذه المسألة فخذها من المسلمات هذا مثال يذكر فهذا المتن و هذا الشرح و هذه الحواشي.

تعريفه الشيخ الدردير للماء الطهور أو الماء المطلق:

هو ما يسبق عليه اسم الماء بلا قيد أخرج بشرطه أشياء سائلة مثل الزيت و اللبن نحن نقول الحليب و العسل هي ليست مياه سائلة ليست ماء فرق بين ماء و سائل، أخرج المقيد مثل ماء الزهر و ماء الورد و العطور نحن نقول ماء لكن هو ليس بماء فأخرجه من الماء الطاهر، و كلمة بلا قيد يخرج هكذا، يخرج ما لم يصدق

عليه اسم الماء إلا بإضافته بهذا القيد مثل ماء الورد و ماء الزهر فهذه ليست مياه مطلقة لا تستعمل في العبادة، حقيقة الماء المطلق، فالماء اجتمع فيه شرطان:

الشرط الأول أن يكون باق على أصل خلقته

الشرط الثاني أن لا يتغير لونه و لا ريحه و لا طعمه بشيء يفارقه في الغالب من الأشياء الطاهرة و النجسة.

هذا خلاف لبعض العلماء الذين يرون أن الأشياء النجسة هي التي تؤثر في الماء فقط أما إذا كانت من جنسه فلا تؤثر فيه لكن في المذهب المالكي يرون حتى الأشياء التي كانت طاهرة و تخالفه و تفارقه في أوصافها فهي تنجسه أو تؤثر فيه فيصبح غير صالح للعبادة.

إذا الماء المطلق ما هو ؟

ما هو الماء الطهور؟

الماء الطهور هو الطاهر لنفسه المطهر لغيره يرفع الحدثين: الحديث الأصغر و الأكبر و تزال به النجاسة

نعود إلى الأبيات:

و تحصل الطهارة بماء من التغير بشيء سلماً

إذا تغير بنجس طرحاً أو طاهر لعادة قد صلحاً

إلا إذا لازمه في الغالب كمُغْرَةٍ فمطلق كالذائب

المغرة باختصار هي الطين الأحمر الذي يمر عليه الماء و بعضها يكتبها بالفتح و البعض يذمها.

أنواع المياه:

قال بن أبي زيد القيرواني الرسالة هي من المراجع الأساسية في الفقه المالكي المعتمدة:

" و ماء السماء و ماء العيون و ماء الآبار و ماء البحر طيب طاهر مطهر للنجاسات"

يمكن أن أضيف إليها ما ذاب من الجليد في بعض المناطق الجليدية إذا ذاب الجليد يمكن أن نتوضأ منه و كذلك ما تجمع من قطرات الندى، صباحاً تجد قطرات على الأجسام هذا ندى لو جمع و نتوضأ به باق على أصل خلقته.

قال بن رشد من كتاب بداية المجتهد و نهاية المقتصد بن رشد الحفيد و ليس الجد:

" و أجمع العلماء على أن جميع أنواع المياه طاهرة في نفسها مطهرة لغيرها"

2/ الماء الطاهر:

و هو الماء الذي خالطه شيء طاهر فغلب عليه كالماء الذي اختلط بصابون أو عطر أو نحو ذلك و كذلك ما كان ماء مقيدا (كماء الزهر، ماء الورد، العطور السائلة) فهذا طاهر في نفسه غير مطهر لغيره يستعمل في العادة و لا يصلح للعبادة.

مسألة خلافية كذلك ثمة من أهل العلم من يرى أن الماء إذا خلطه شيء طاهر من جنسه فلا يؤثر فيه يبقى على طهرته.

3/ الماء النجس:

وهو الذي خالطته نجاسة و غيرت إحدى صفاته (لونه طعمه رائحته).

حكمه: فهذا النوع لا يجوز استعماله للعبادات و لا العادات، حتى العادات يمنع استعماله نقصد به العادات يعني الغسل الشرب العجب و العجين هذه العادات و الاستعمالات و يمكن أن يسقى به الزرع و الحيوان و تسمد به الأرض يستعمل في تسميد الأرض، هذه كلها عادات.

4/ الماء المتغير:

هذه كلها شرح للأبيات إن شاء الله.

إذا تغير بشيء مما يفارقه غالبا كالزعفران و التمر و اللبن مما يمكن الاحتراز منه، لأن القاعدة الشرعية تقول: **المشقة تجلب التيسير**، "ما جعل عليكم في الدين من حرج"، التراب أحمر و يمر عليه الماء فهذا سيتغير فكيف نصفي الماء و ننزع عليه الحمرة فلا سبيل لذلك...

أما إذا كان الشيء الذي خالط الماء مما لا يمكن الاحتراز منه أي لا سبيل من اجتنابه، غالبا كالماء المتغير بشيء من أجزاء الأرض المار بها كالمح و الجير و التراب و كذلك إذا تغير بشيء توالد منه يعني نتج فيه كالطحلب يجمع على طحالب نقول خز الماء الراكد بعد مدة تكون فوقه طبقة لونها أخضر و متغيرة الرائحة أحيانا تسمى الخز تسمى الطحلب هذه لا تؤثر فيه هذه شيء تولد منه نتج منه، و السمك أحيانا تكون على المواني و رائحته نتنة بسبب الأسماك و القوارب التي تخرج في البحر و تكون معها الأسماك فتتغير الروائح فهذه النتونة و الرائحة الكريهة لا تؤثر في طهورية الماء فهي منه و عليه، أو تغير بما طرح فيه أي في الماء قصدا من أجزاء الأرض و المعادن و لإصلاحه و تنقيته من الدباغ مثلا القربة أي من دبغ فقد طهر إذا حملنا الماء في القربة و الدباغ هي مادة كيميائية إن شئت فتؤثر رائحته هذا الدباغ في الماء تغير قليلا رائحته لكن يبقى على طهوريته لأنه لا بد منها هذه، و القطران، و الجير و الكلور مادة كيميائية تضعها شركة المياه في السدود و مصفاة المياه أحيانا تفتح الحنفية في بيتك فينزل الماء شديد البياض هذا بمادة الجفال أو الكلور فيه رغوة و غشاء هذا لا يؤثر فيه فالماء الطهور لا ينجسه شيء و هذا لإصلاحه ضروري، قال فيما معناه ما يحفظ الماء من التلوث. فكل أشياء ضرورية أو لازمة أو قريبة تستعمل في الماء فهي لا تؤثر في طهوريته إن شاء الله، أحيانا تفتح الحنفية فتجد الماء بني اللون من شدة الصديد الذي غلب في القنوات التحتية و أحيانا تنكسر بعض القنوات فتري العجب العجاب فسبحان الله كلنا نشرب من هذا الماء، لا يؤثر فيه إن شاء الله.

أتمننا أنواع المياه إن شاء الله، أريد أن نعود إلى الأحاديث التي أخذناها.

منتقى أحاديث الأحكام بلوغ المرام لابن حجر

حديث أبو سعيد الخدري رضي الله عنه "إن الماء طهور لا ينجسه شيء" أخرجه الثلاثة أولهم أبو داود ثم الترمذي ثم النسائي و صححه الإمام احمد، نقله الحافظ بن حجر في تلخيص الحدي، و هذا الحديث صححه مجموعة من أهل العلم أولا الإمام احمد ثم الحافظ بن حجر و صححه الصديق حسن خان شرح كتب الشوكاني و صححه الشيخ ناصر الألباني و عبد القادر في تخريجه في جامع الأصول.

قصة الحديث: أسباب ورود هذا الحديث:

حديث بئر بضاعة:

قيل يا رسول الله إنه يستقى لك من بئر بضاعة وهي بئر يلقي فيها لحوم الكلاب و فرق المحايض و عذر الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الماء طهور لا ينجسه شيء، هذه فيها شبهة كيف تلقى النجاسات في البشر و الرسول صلى الله عليه وسلم يستقى منها.

تعليق الشيخ المباركفوري:

"قال الطيبي معنى قوله يلقي فيها أن البئر كانت بمسيل (مشتقة من السيل كالسواقي) من بعض الأودية التي يحتمل أن ينزل فيها أهل البادية فتلقى تلك القاذورات بأفنية منازلهم فيكسحها السيل فيلقوها في البئر فعبر عنه القائل بوجه يوهم أن الإلقاء من الناس لقلّة تدينهم و هذا مما لا يُجَوِّزُهُ مسلم فأنى يظن ذلك بالذين هم أفضل القرون و أزكاهم" يقول المباركفوري:

"كذلك قال غير واحد من أهل العلم و هو الظاهر المتعين".

خلاصة القول أو المقالة: الناس لا يلقون النجاسات مباشرة في البشر بل كانوا يلقونها أمام بيوتهم.

إضافة:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْتَوَضَأُ مِنْ بَيْرٍ بُضَاعَةٌ وَهِيَ بَيْرٌ يُطْرَحُ فِيهَا الْحَيْضُ وَلَحْمُ الْكِلَابِ وَالنَّتْنُ فَقَالَ (رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَاءُ طَهُورٌ لَا يَنْجَسُهُ شَيْءٌ). (سنن أبي داود)

:عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ:

قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَوَضَأُ مِنْ بَيْرٍ بُضَاعَةٌ وَهِيَ بَيْرٌ يُلْقَى فِيهَا الْحَيْضُ وَلَحْمُ الْكِلَابِ وَالنَّتْنُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الْمَاءَ طَهُورٌ (لَا يَنْجَسُهُ شَيْءٌ). (قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ)

مفاد هذا الحديث أن هذه القاذورات تلقى أو تطرح في بئر بضاعة و قد يفهم من هذا أن الفاعل هم الصحابة رضوان الله عليهم و قد روج لهذه الشبهة أعداء الإسلام بأن المسلمين يتطهرون من ماء خالطه خرق الحيض و لحوم الكلاب و القاذورات

قال الإمام الخطابي في معالم السنن شرح سنن أبي داود: قد يتوهم كثير من الناس إذا سمع هذا الحديث أن هذا كان منهم عادة وأنهم كانوا يأتون هذا الفعل قصدا وتعمدًا وهذا ما لا يجوز أن يظن بذي بل بوتني فضلا عن مسلم ولم يزل من عادة الناس قديما وحديثا مسلمهم وكافرهم تنزيه المياه وصونها عن النجاسات فكيف يظن بأهل ذلك الزمان وهم أعلى طبقات أهل الدين وأفضل جماعة المسلمين . والماء في بلادهم أعز والحاجة إليه أمس أن يكون هذا صنيعهم بالماء وامتهانهم له ، وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من تغوط في موارد الماء و مشارعة كيف من اتخذ عيون الماء ومنابعه رصدا للأتجاس و مطرعا للأقذار ، هذا ما لا يليق بحالهم ، وإنما كان هذا من أجل أن هذه البئر موضعها في حذور من الأرض وأن السيول كانت تكسح هذه الأقذار من الطرق والأفنية وتحملها فتلقوها فيها وكان الماء لكثرة لا يؤثر فيه وقوع هذه الأشياء ولا يغيره فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شأنها ليعلموا حكمها في الطهارة والنجاسة فكان من جوابه لهم أن الماء لا ينجسه شيء.

قَالَ الطَّبَّيُّ مَعْنَى قَوْلِهِ يُلْقَى فِيهَا أَنَّ الْبَيْرَ كَانَتْ بِمَسِيلٍ مِنْ بَعْضِ الْأُودِيَةِ الَّتِي يُحْتَمَلُ أَنْ يَنْزِلَ فِيهَا أَهْلُ الْبَادِيَةِ فَتُلْقَى تِلْكَ الْقَاذُورَاتُ بِأَفْنِيَةِ مَنَازِلِهِمْ فَيَكْسَحُهَا السَّيْلُ فَيُلْقِيهَا فِي الْبَيْرِ فَعَبَّرَ عَنْهُ الْقَائِلُ بِوَجْهِ يُوْهِمُ أَنَّ الْإِلْقَاءَ مِنَ النَّاسِ لِقِلَّةِ تَدِينِهِمْ ، وَهَذَا مِمَّا لَا يُجَوِّزُهُ مُسْلِمٌ ، فَأَنَّى يُظَنَّ

دَلِكِ بِالَّذِينَ هُمْ أَفْضَلُ الْقُرُونِ وَأَرْكَاهُمْ . اِنْتَهَى

تحفة الأحوذى

قال الإسماعيلي: في هذا الحديث بيان أن بئر بضاعة بئر بستان، فيدل على أن قول أبا سعيد في حديث يعني الذي أخرجه أصحاب السنن أنها كانت تطرح فيها خرق الحيز و غيرها أنها كانت تطرح في البستان فيجريها المطر و نحوه إلى البئر.

وقال الطحاوي أيضا : إن بئر بضاعة كانت طريقا إلى البساتين فهو كالنهر . (لاحظ أنه يقول أنه كالنهر وهذا دليل على أن مياهه متجددة وكثيرة كمياه النهر وليست مياه راكدة تلقي فيها الأوساخ وبذلك كان الماء طهورا لذلك أمر الرسول الصحابة بالتوضؤ منه لكن لو كان ماء البئر ساكنا متغير اللون لما توضأ منه الرسول صلى الله عليه وسلم.